مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْعَاشِرَة)

مِنْ مَادَّةِ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن

www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:
مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُولِ

فَمِنَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَىٰ تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُولِ.

وَمَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُولِ مِنْ أَهَمِّ الْعَوَامِلِ الْمُوصِلَةِ إِلَىٰ تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إِذْ هِيَ أَوْفَىٰ مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَىٰ مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا دُونَ الْوُقُوفِ عَلَىٰ قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا».

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَعْرِفَةُ سَبَبِ النُّزُولِ يُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِ الْآيَةِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالسَّبَبِ يُورِثُ الْعِلْمَ بِالْمُسَبَّبِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَصَحُّ قَوْلَيِ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُعْرَفْ مَا نَوَاهُ الْحَالِفُ رُجِعَ إِلَىٰ سَبَبِ يَمِينِهِ وَمَا هَيَّجَهَا وَمَا أَثَارَهَا».

وَهَذَا مِثَالٌ يَتَّضِحُ بِهِ الْمَقْصُودُ، قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾ [البَقَرَة:١٥٨]، فَظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَفْيُ الْجُنَاحِ عَمَّنِ اطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَهَذَا وَحْدَهُ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْفَرْضِيَّةِ، لَكِنْ إِذَا عُرِفَ سَبَبُ النُّزُولِ

فُهِمَتِ الْآيَةُ عَلَىٰ وَجْهِهَا، فَإِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ تَحَرَّجَ عَنِ الطَّوَافِ عَلَىٰ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِكَوْنِهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُعْبَدُ عِنْدَهُمَا الْأَصْنَامُ.

لِهَذَا تَرْجَمَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ»: «بَابُ وُجُوبِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَجَعْلِهِ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ»؛ يَعْنِي: وَجَعْلِ ذَلِكَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَأَوْرَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيثَ عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البَقَرَة:١٥٨]، فَوَاللهِ مَا عَلَىٰ أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

قَالَتْ: «بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ كَانَتْ: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلَّا يَتَطَوَّفَ بِهِمَا! وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الْأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الْمُشَلَّلِ، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطَّوَّفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ ...﴾ الْآيَةَ [البَقَرَة:١٥٨]».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا».

قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّاسَ -إِلَّا مَنْ ذَكَرَتْ

عَائِشَةُ مِمَّنْ كَانَ يُهِلُّ بِمَنَاةَ- كَانُوا يَطُوفُونَ كُلُّهُمْ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ فِي الْقُرْآنِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ** ...﴾ الْآيَةَ [البَقَرَة:١٥٨]».

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «فَأَسْمَعُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا؛ فِي الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْجَاهِلِيَّةِ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَالَّذِينَ يَطُوفُونَ ثُمَّ تَحَرَّجُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِمَا فِي الْإِسْلَامِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَمَرَ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، حَتَّىٰ ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا ذَكَرَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ». الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ -أَيْضًا- مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

فَمَعْرِفَةُ سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يَجْعَلُ فَهْمَهَا مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ كَمَا مَرَّ بَيَانُهُ، فَمَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُولِ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالتَّدَبُّرِ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُرِيدُهُ اللهُ ﷻ.

كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَشْرَفُ مَا أُنْفِقَتِ الْأَعْمَارُ فِي تَحْصِيلِهِ، حَمْلًا وَتِلَاوَةً وَفَهْمًا وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا وَتَطْبِيقًا، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ الْقُرْآنَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ، وَهُدًىٰ لِمَنِ اهْتَدَىٰ بِهِ، وَغِنًىٰ لِمَنِ اسْتَغْنَىٰ بِهِ، وَحِرْزٌ مِنَ

النَّارِ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَنُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًىٰ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَمَرَ اللهُ خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، فَيُحِلُّوا حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَيَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ تِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ وَدُخُولَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ نَدَبَ خَلْقَهُ -أَيْ: دَعَاهُمْ- إِذَا هُمْ تَلَوْا كِتَابَهُ أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَحْسَنُوا اسْتِمَاعَهُ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَلِلَّهِ -تَعَالَىٰ- الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهُ أَنَّ مَنْ تَلَا الْقُرْآنَ وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ يُرْبِحُهُ الرِّبْحَ الَّذِي لَا بَعْدَهُ رِبْحٌ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ بَيَانُهُ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَذَا هُوَ فِي قَوْلِ صَحَابَتِهِ رضي الله عنهم، وَفِي سَائِرِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وَقَالَ -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩-١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَحَبْلُ اللهِ - تَعَالَىٰ- هُوَ الْقُرْآنُ، وَقِيلَ: الْإِسْلَامُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تَتَعَارَضُ وَلَا تَتَضَادُّ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣].

ثُمَّ إِنَّ اللهَ ﷻ وَعَدَ مَنِ اسْتَمَعَ كَلَامَهُ فَأَحْسَنَ الْأَدَبَ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ بِالِاعْتِبَارِ الْجَمِيلِ؛ أَيْ: بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ وَلُزُومِ الْوَاجِبِ لِاتِّبَاعِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، يُبَشِّرُهُ مِنْهُ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَوَعَدَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَفْضَلَ الثَّوَابِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٥]، فَكُلُّ كَلَامِ رَبِّنَا حَسَنٌ لِمَنْ تَلَاهُ وَلِمَنِ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هَذَا صِفَةُ قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ يَتَّبِعُونَ أَحْسَنَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- مِمَّا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مَوْلَاهُمُ الْكَرِيمُ، يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ رِضَاهُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ.

سَمِعُوا اللهَ -تَعَالَىٰ- قَالَ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، فَكَانَ حُسْنُ اسْتِمَاعِهِمْ يَبْعَثُهُمْ عَلَىٰ التَّذَكُّرِ فِيمَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ.

وَسَمِعُوا اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ عَنِ الْجِنِّ فِي حُسْنِ اسْتِمَاعِهِمْ لِلْقُرْآنِ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِمَا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَوَعَظُوهُمْ بِمَا سَمِعُوا مِنَ الْقُرْآنِ بِأَحْسَنِ مَا

يَكُونُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي سُورَةِ ﴿قٓ ۚ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، مَا دَلَّنَا عَلَىٰ عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ، وَذَكَرَ النَّارَ وَعَظِيمَ شَأْنِهَا، وَذَكَرَ الْجَنَّةَ وَمَا أَعَدَّ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فَأَخْبَرَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- أَنَّ الْمُسْتَمِعَ بِأُذُنَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُشَاهِدًا بِقَلْبِهِ مَا يَتْلُو وَمَا يَسْمَعُ لِيَنْتَفِعَ بِتِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَبِالِاسْتِمَاعِ مِمَّنْ يَتْلُوهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ ﷻ حَثَّ خَلْقَهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أَلَا تَرَوْنَ -رَحِمَكُمُ اللهُ- إِلَىٰ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمِ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلَامَهُ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ ﷻ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمِ تَفَضُّلِهِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، وَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً، فَاسْتَغْنَىٰ بِلَا مَالٍ، وَعَزَّ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَأَنِسَ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَتْ هِمَّتُهُ عِنْدَ التِّلَاوَةِ لِلسُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَىٰ أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُو؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ: مَتَىٰ أَخْتِمُ السُّورَةَ؟ وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مَتَىٰ أَعْقِلُ عَنِ اللهِ الْخِطَابَ؟ مَتَىٰ أَزْدَجِرُ؟ مَتَىٰ أَعْتَبِرُ؟ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ -وَالدَّقَلُ: رَدِيءُ التَّمْرِ، وَالْمَقْصُودُ: لَا تُسْرِعُوا فِي الْقِرَاءَةِ كَمَا تَرْمُونَ بِالتَّمْرِ الرَّدِيءِ- وَلَا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ -وَالْهَذُّ: الْكَلَامُ السَّرِيعُ غَيْرُ الْمَفْهُومِ، لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَلَا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ- قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: «الْزَمُوا كِتَابَ اللهِ، وَتَتَبَّعُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَكُونُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ»، ثُمَّ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا عَرَضَ نَفْسَهُ وَعَمَلَهُ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ، فَإِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللهِ حَمِدَ اللهَ وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ، وَإِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللهِ أَعْتَبَ نَفْسَهُ وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ».

وَعَنْ أَبِي كِنَانَةَ، أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَعَ الَّذِينَ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَعَظَّمَ الْقُرْآنَ وَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ ذُخْرًا - وَالذُّخْرُ: الثَّوَابُ الْمُدَّخَرُ- وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَّبِعْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَىٰ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ زَجَّ فِي قَفَاهُ فَقَذَفَهُ فِي النَّارِ».

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ -أَيْ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ حَالَهُ، هَلْ هُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ أَوْ مِنْ غَيْرِ الصَّالِحِينَ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ- فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَىٰ الْقُرْآنِ».

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قَالَ: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ».

وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «إِنَّمَا الْقُرْآنُ عِبَرٌ، إِنَّمَا الْقُرْآنُ عِبَرٌ».

ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ الْآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَخْلَاقِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ».

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ -وَالصُّفَّةُ: مَكَانٌ فِي آخِرِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ كَانَ يَأْوِي إِلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَكَنٌ وَلَا عَشِيرَةٌ حَتَّىٰ يَجِدَ أَحَدُهُمْ

سَكَنًا- قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ -أَيْ: يَذْهَبَ- فِي الصَّبَاحِ إِلَىٰ بُطْحَانَ -وَبُطْحَانُ: اسْمُ وَادٍ فِي الْمَدِينَةِ- أَوِ الْعَقِيقِ -اسْمُ وَادٍ آخَرَ عَلَىٰ بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ- أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَىٰ بُطْحَانَ أَوِ الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ -كَوْمَاوَيْنِ: مُثَنَّىٰ كَوْمَاءَ؛ وَهِيَ النَّاقَةُ عَظِيمَةُ السَّنَامِ، وَأَمَّا زَهْرَاوَيْنِ: فَبَيْضَاوَيْنِ مِنْ شِدَّةِ السِّمَنِ- فَيَأْخُذَهُمَا مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟!**

قُلْنَا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ يُحِبُّ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ». الْحَدِيثُ -كَمَا مَرَّ- أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمْ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا تَجَالَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»؛ يَعْنِي: مَنْ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ عَمَلُهُ الصَّالِحُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَلَنْ تَنْفَعَهُ أَحْسَابُهُ الشَّرِيفَةُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مُعَلَّقٌ مِنْ عَمَلِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ﷻ.

وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ لِمُسْلِمٍ: «**إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**».

وَعَنْ عَنْتَرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: «قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ»؛ يَعْنِي: ذِكْرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- أَكْبَرُ الْأَعْمَالِ، وَلَا يُرِيدُ بِذَلِكَ ذِكْرَ اللِّسَانِ وَحْدَهُ كَمَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ، بَلْ إِنَّ ذِكْرَهُ -تَعَالَىٰ- أَنْوَاعٌ كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَنْوَاعُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى

أَوَّلُ أَنْوَاعِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ: ذِكْرُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالثَّنَاءُ بِهَا عَلَيْهِ.

الثَّانِي: ذِكْرُهُ بِاللِّسَانِ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَحْمِيدٍ وَتَمْجِيدٍ، وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ عِنْدَ إِطْلَاقِ الذِّكْرِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ.

الثَّالِثُ: ذِكْرُهُ بِأَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَهُوَ مَا يَفْعَلُهُ الْعَالِمُ حِينَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ طَرِيقِ مَوْلَاهُمْ ﷻ.

الرَّابِعُ: ذِكْرُهُ ﷻ بِتِلَاوَةِ آيَاتِهِ، وَالتَّدَبُّرِ فِيهَا، وَالتَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهَا.

الْخَامِسُ: دُعَاؤُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ.

«قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ -أَيْ: أَكْبَرُ الْأَعْمَالِ-، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتَدَارَسُونَ فِيهِ كِتَابَ اللهِ وَيَتَعَاطَوْنَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا أَظَلَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانُوا أَضْيَافَ اللهِ -تَعَالَىٰ- مَا دَامُوا فِيهِ، حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ».

www.menhag-un.com

مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:
مَعْرِفَةُ عِلْمِ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ

مِمَّا يُعِينُ عَلَىٰ تَمَامِ تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: مَعْرِفَةُ عِلْمِ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ، وَمَعْرِفَةُ عِلْمِ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ خَيْرُ مُعِينٍ عَلَىٰ تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَعِلْمُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ عِلْمٌ جَلِيلٌ، وَبِهِ يُعْرَفُ كَيْفَ أَدَاءُ الْقُرْآنِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ، وَاسْتِنْبَاطَاتٌ غَزِيرَةٌ، وَبِهِ تُتَبَيَّنُ مَعَانِي الْآيَاتِ، وَيُؤْمَنُ الِاحْتِرَازُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُشْكِلَاتِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَىٰ الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ جِدَالًا يُؤْتَىٰ أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ».

هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَىٰ فُنُونٍ كَثِيرَةٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ: «لَا يَقُومُ بِالتَّمَامِ فِي الْوَقْفِ إِلَّا نَحْوِيٌّ عَالِمٌ بِالْقِرَاءَاتِ، عَالِمٌ بِالتَّفْسِيرِ وَالْقَصَصِ وَتَلْخِيصِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، عَالِمٌ بِاللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ».

مِثَالُ ذَلِكَ: الْوَقْفُ عَلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَوْلُهُمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، فَهُنَا تَمَّ الْكَلَامُ، ثُمَّ يَبْتَدِأُ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:
تَحْقِيقُ التَّقْوَى

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: تَحْقِيقُ التَّقْوَىٰ، فَإِنَّ التَّقْوَىٰ جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، فَبِالتَّقْوَىٰ يَسْتَنِيرُ الْقَلْبُ، وَتَتَنَوَّرُ الْبَصِيرَةُ، وَتَتَكَشَّفُ حَقَائِقُ الْعِلْمِ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ، قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ مَنِ اتَّقَاهُ رَزَقَهُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢- ٣]، وَأَيُّ رِزْقٍ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ فَهْمِ مُرَادِ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا مِنْ خِطَابِهِ؟!

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ مُتَحَدِّثًا عَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْمِنَحِ الرَّبَّانِيَّةِ حِينَ تَأَمُّلِهِ فِي سُورَةِ «الْكَافِرُونَ» وَذِكْرِهِ لِفَوَائِدِهَا وَأَسْرَارِهَا، قَالَ: «فَهَذَا مَا فَتَحَ اللهُ الْعَظِيمُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْيَسِيرَةِ النَّزْرَةِ -أَيِ: الْقَلِيلَةِ-

الْمُشِيرَةِ إِلَىٰ عَظَمَةِ هَذِهِ السُّورَةِ وَجَلَالَتِهَا وَمَقْصُودِهَا وَبَدِيعِ نَظْمِهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِعَانَةٍ بِتَفْسِيرٍ، وَلَا تَتَبُّعٍ لِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ مَظَانٍّ تُوجَدُ فِيهِ، بَلْ هِيَ اسْتِمْلَاءٌ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ وَأَلْهَمَهُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ وَجَدْتُهَا فِي كِتَابٍ لَأَضَفْتُهَا إِلَىٰ قَائِلِهَا، وَلَبَالَغْتُ فِي اسْتِحْسَانِهَا».

وَيَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْقُرْآنَ وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهُ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ اللهِ ﷻ وَخَاصَّتِهِ، وَمِمَّنْ وَعَدَهُ اللهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيَانِهِ وَخِطَابِهِ، وَمِمَّنْ قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِيهِمْ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»، مِمَّنْ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: **«الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ: «إِذَا خَتَمَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ قَبَّلَ الْمَلَكُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ».

www.menhag-un.com

أَقْسَامُ أَخْلَاقِ النَّاسِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

فَيَنْبَغِي لَهُ -أَيْ: لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ وَأَرَادَ أَنْ يُسْلَكَ فِي هَذَا النِّظَامِ- أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ، يُعَمِّرُ بِهِ مَا خَرِبَ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَتَأَدَّبُ بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقٍ شَرِيفَةٍ يَبِينُ بِهَا عَنْ سَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُعَظِّمًا لِكِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ تَعْظِيمَ آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وَالْيَقِينَ الَّذِي لَا يُقْبَلُ سِوَاهُ مِنْ أَنَّ مَا يَتْلُوهُ إِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ ﷻ، تَكَلَّمَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ حَقِيقَةً، وَأَوْحَاهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا إِلَىٰ جِبْرِيلَ، فَنَزَلَ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَدَّاهُ إِلَىٰ الْأُمَّةِ.. لَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ مُعِينًا عَلَىٰ تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ.

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ تَقْوَىٰ اللهِ ﷻ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَكْسَبِهِ، بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ، فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَىٰ دِينِهِ، مُقْبِلًا عَلَىٰ شَأْنِهِ، مَهْمُومًا بِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ، مُمَيِّزًا لِكَلَامِهِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَىٰ الْكَلَامَ صَوَابًا، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْمٍ إِذَا كَانَ السُّكُوتُ صَوَابًا، قَلِيلَ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ، يَحْبِسُ لِسَانَهُ كَحَبْسِهِ لِعَدُوِّهِ لِيَأْمَنَ شَرَّهُ، وَلِيَأْمَنَ

سُوءَ عَاقِبَتِهِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ النَّاسُ لِسُوءِ عَاقِبَةِ الضَّحِكِ، إِنْ سُرَّ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ، يَكْرَهُ الْمِزَاحَ خَوْفًا مِنَ اللَّعِبِ، فَإِنْ مَزَحَ قَالَ حَقًّا، بَاسِطَ الْوَجْهِ، طَيِّبَ الْكَلَامِ، لَا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ، فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؟!

يَحْذَرُ نَفْسَهُ أَنْ تَغْلِبَ عَلَىٰ مَا تَهْوَىٰ مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلَاهُ، لَا يَغْتَابُ أَحَدًا، وَلَا يَحْقِرُ أَحَدًا، وَلَا يَسُبُّ أَحَدًا، وَلَا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، وَلَا يَبْغِي عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَا يَحْسُدُهُ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ إِلَّا بِمَنْ يَسْتَحِقُّ، يَحْسُدُ بِعِلْمٍ -وَيُقْصَدُ بِالْحَسَدِ هَاهُنَا: الْغِبْطَةُ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ-، وَيَظُنُّ بِعِلْمٍ -يَعْنِي: لَا يَعْتَقِدُ فِي أَحَدٍ سُوءًا إِلَّا بِيَقِينٍ جَازِمٍ لَا يَتَخَلَّفُ-، يَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ -يَعْنِي: إِذَا جَرَحَ أَحَدًا-، وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ بِعِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُوجِبٌ لِذِكْرِهِ.

قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَىٰ كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، حَافِظًا لِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، إِنْ مَشَىٰ مَشَىٰ بِعِلْمٍ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ بِعِلْمٍ، يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلُمَ، لَا يَظْلِمُ، وَإِنْ ظُلِمَ عَفَا، وَلَا يَبْغِي، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيُرْضِيَ رَبَّهُ وَيَغِيظَ عَدُوَّهُ، مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنَ اللهِ ﷻ لَا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، مَاقِتًا لِلْكِبْرِ، خَائِفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهُ.

لَا يَتَأَكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ تُقْضَىٰ لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، وَلَا يَسْعَىٰ بِهِ إِلَىٰ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَلَا يُجَالِسُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ، إِنْ كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ بِلَا

فِقْهٍ وَلَا بَصِيرَةٍ كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ، إِنْ لَبِسَ النَّاسُ اللَّيِّنَ الْفَاخِرَ لَبِسَ هُوَ مِنَ الْحَلَالِ مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ، إِنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ، وَإِنْ أُمْسِكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، وَيَحْذَرُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُطْغِيهِ، يَتْبَعُ وَاجِبَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ، وَيَنَامُ بِعِلْمٍ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ، وَيَصْحَبُ إِخْوَانَهُ بِعِلْمٍ، وَيَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، وَيُجَاوِرُ جَارَهُ بِعِلْمٍ؛ أَي: يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُتَّبِعًا لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

يُلْزِمُ نَفْسَهُ بِرَّ وَالِدَيْهِ فَيَخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحَهُ، وَيَخْفِضُ لِصَوْتِهِمَا صَوْتَهُ، وَيَبْذُلُ لَهُمَا مَالَهُ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ الْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ، يَدْعُو لَهُمَا بِالْبَقَاءِ، وَيَشْكُرُ لَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، لَا يَضْجَرُ بِهِمَا وَلَا يَحْقِرُهُمَا، إِنِ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَىٰ طَاعَةٍ أَعَانَهُمَا، وَإِنِ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ لَمْ يُعِنْهُمَا عَلَيْهَا، وَرَفَقَ بِهِمَا فِي مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُمَا بِحُسْنِ الْأَدَبِ -يَعْنِي: عِنْدَمَا يَرْفُضُ طَاعَتَهُمَا فِي الْمَعْصِيَةِ فَلْيَكُنِ الرَّفْضُ بِأَدَبٍ وَرِفْقٍ، حَتَّىٰ إِذَا مَا دَعَوَاهُ إِلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَلَّا يُطِيعَهُمَا، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَفْضُهُ طَاعَتَهُمَا فِي الْمَعْصِيَةِ بِأَدَبٍ وَرِفْقٍ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَا مِمَّا لَا يَحْسُنُ بِهِمَا فِعْلُهُ-.

يَصِلُ الرَّحِمَ وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ، مَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ، وَمَنْ عَصَا اللهَ فِيهِ أَطَاعَ اللهَ فِيهِ، يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ، مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ، حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَ، إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ، لَا يُعَنِّفُ مَنْ أَخْطَأَ وَلَا يُخْجِلُهُ، رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ،

صَبُورٌ عَلَىٰ تَعْلِيمِ الْخَيْرِ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمُجَالِسُ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا، مُؤَدِّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَهُ مُؤَدِّبَانِ بِحُزْنٍ وَعِلْمٍ، فَيَحْزَنُ بِعِلْمٍ، وَيَبْكِي بِعِلْمٍ، وَيَصْبِرُ بِعِلْمٍ، وَيَتَطَهَّرُ بِعِلْمٍ، وَيُصَلِّي بِعِلْمٍ، وَيُزَكِّي بِعِلْمٍ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ، وَيَحُجُّ بِعِلْمٍ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ، وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ، وَيَنْبَسِطُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمٍ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ.

قَدْ أَدَّبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا يَرْضَىٰ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا فَرَضَ اللهُ ﷻ بِجَهْلٍ، قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ، إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، هِمَّتُهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللهُ ﷻ مِنَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ.

لَيْسَ هِمَّتُهُ: مَتَىٰ أَخْتِمُ السُّورَةَ؟ هِمَّتُهُ: مَتَىٰ أَسْتَغْنِي بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْخَاشِعِينَ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْخَائِفِينَ؟ مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الرَّاجِينَ؟ مَتَىٰ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا؟ مَتَىٰ أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ؟ مَتَىٰ أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ؟ مَتَىٰ أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةَ؟ مَتَىٰ أَشْكُرُ عَلَيْهَا؟ مَتَىٰ أَعْقِلُ عَنِ اللهِ -جَلَّتْ عَظَمَتُهُ- الْخِطَابَ؟ مَتَىٰ أَفْقَهُ مَا أَتْلُو؟ مَتَىٰ أَغْلِبُ نَفْسِي عَلَىٰ مَا تَهْوَىٰ؟ مَتَىٰ أُجَاهِدُ فِي اللهِ ﷻ حَقَّ الْجِهَادِ؟ مَتَىٰ أَحْفَظُ لِسَانِي؟ مَتَىٰ أَغُضُّ طَرْفِي؟ مَتَىٰ أَحْفَظُ فَرْجِي؟ مَتَىٰ أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ؟

مَتَىٰ أَشْتَغِلُ بِعَيْبِي؟ مَتَىٰ أُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِي؟ مَتَىٰ أُحَاسِبُ نَفْسِي؟ مَتَىٰ أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي؟ مَتَىٰ أَكُونُ عَنِ اللهِ رَاضِيًا؟ مَتَىٰ أَكُونُ بِاللهِ وَاثِقًا؟ مَتَىٰ أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَّعِظًا؟ مَتَىٰ أَكُونُ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مُشْتَغِلًا؟ مَتَىٰ أُحِبُّ مَا يُحِبُّ؟ مَتَىٰ أُبْغِضُ مَا يُبْغِضُ؟ مَتَىٰ أَنْصَحُ لِلَّهِ؟ مَتَىٰ أُخْلِصُ لَهُ عَمَلِي؟ مَتَىٰ أُقَصِّرُ أَمَلِي؟ مَتَىٰ أَتَأَهَّبُ لِيَوْمِ مَوْتِي وَقَدْ غُيِّبَ عَنِّي أَجَلِي؟ مَتَىٰ أَعْمُرُ قَبْرِي؟

مَتَىٰ أُفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ؟ مَتَىٰ أُفَكِّرُ فِي خَلْوَتِي مع رَبِّي؟ مَتَىٰ أُفَكِّرُ فِي الْمُنْقَلَبِ؟ مَتَىٰ أَحْذَرُ مِمَّا حَذَّرَنِي مِنْهُ رَبِّي مِنْ نَارٍ حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَغَمُّهَا طَوِيلٌ، لَا يَمُوتُ أَهْلُهَا فَيَسْتَرِيحُوا، وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُمْ، وَلَا تُرْحَمُ عَبْرَتُهُمْ، طَعَامُهُمُ الزَّقُومُ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ، نَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، وَعَضُّوا عَلَىٰ الْأَيْدِي أَسَفًا عَلَىٰ تَقْصِيرِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ ﷻ، وَرُكُونِهِمْ لِمَعَاصِي اللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠]، وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩]، وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانٗا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٨]، وَقَالَتَ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ وَوُجُوهُهُمْ تَتَقَلَّبُ فِي أَنْوَاعِ الْعَذَابِ: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

فَهَذِهِ النَّارُ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، حَذَّرَهَا اللهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ رَحْمَةً مِنْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ

﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ثُمَّ حَذَّرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفُلُوا عَمَّا فَرَضَ عَلَيْهِمْ، وَمَا عَهِدَهُ إِلَيْهِمْ أَلَّا يُضَيِّعُوهُ، وَأَنْ يَحْفَظُوا مَا اسْتَرْعَاهُمْ مِنْ حُدُودِهِ، وَلَا يَكُونُوا كَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِهِ فَعَذَّبَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

ثُمَّ أَعْلَمَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ -أَيْ: عَرَضَهُ عَلَىٰ حَالِهِ- فَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَرَىٰ بِهَا مَا حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ وَمَا قَبُحَ مِنْهُ، فَمَا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ حَذِرَهُ، وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ، وَمَا رَغَّبَهُ فِيهِ مَوْلَاهُ رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ فَقَدْ تَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا وَأَنِيسًا وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ نَفَعَ نَفْسَهُ، وَنَفَعَ أَهْلَهُ، وَعَادَ عَلَىٰ وَالِدَيْهِ وَعَلَىٰ وَلَدِهِ كُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: مَرَّتِ امْرَأَةٌ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَقَالَتْ: طُوبَىٰ لِحِجْرٍ حَمَلَكَ، وَلِثَدْيٍ رَضَعْتَ مِنْهُ، فَقَالَ عِيسَىٰ: طُوبَىٰ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ -وَهُوَ يُرِيدُ الْوَحْيَ-.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ الرَّجُلِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ مُصْفَرِّ الْوَجْهِ مِنَ التَّعَبِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَصَحَّحَهُ الْبُوصِيرِيُّ، وَحَسَّنَهُ شُعَيْبٌ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: ضَعِيفٌ مُحْتَمِلٌ لِلتَّحْسِينِ.

وَعَنْ إِيَاسِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِيٰ طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ -يَعْنِي: طَالَ بِكَ الْعُمُرُ- فَسَيُقْرَأُ الْقُرْآنُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَصِنْفٌ لِلدُّنْيَا، وَصِنْفٌ لِلْجَدَلِ، فَمَنْ طَلَبَ بِهِ أَدْرَكَ.

فَهَذَا هُوَ الصِّنْفُ الَّذِينَ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ يُرِيدُونَ بِهِ وَجْهَ اللهِ بِقِرَاءَتِهِمْ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُرِيدُونَ بِهِ وَجْهَ اللهِ، وَإِنَّمَا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا وَلِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَمِنْ أَخْلَاقِ هَؤُلَاءِ: أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ مُضَيِّعًا لِحُدُودِهِ، مُتَعَظِّمًا فِي نَفْسِهِ، مُتَكَبِّرًا عَلَىٰ غَيْرِهِ.

قَدِ اتَّخَذَ الْقُرْآنَ بِضَاعَةً يَتَأَكَّلُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ، وَيَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ، يُعَظِّمُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا وَيَحْقِرُ الْفُقَرَاءَ، إِنْ عَلَّمَ الْغَنِيَّ رَفَقَ بِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُ، وَإِنْ عَلَّمَ الْفَقِيرَ زَجَرَهُ وَعَنَّفَهُ لِأَنَّهُ لَا دُنْيَا لَهُ يَطْمَعُ فِيهَا، يَسْتَخْدِمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ، وَيَتِيهُ بِهِ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ، إِنْ

كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمُلُوكِ وَيُصَلِّيَ بِهِمْ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصَّلَاةَ بِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِقِلَّةِ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيهِمْ، إِنَّمَا طَلَبُهُ الدُّنْيَا حَيْثُ كَانَ رَبَضَ عِنْدَهَا.

يَفْخَرُ عَلَىٰ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، وَيَحْتَجُّ عَلَىٰ مَنْ دُونَهُ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا مَعَهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ، وَزِيَادَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْغَرِيبِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الَّتِي لَوْ عَقَلَ لَعَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَلَّا يَقْرَأَ بِهَا، فَتَرَاهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا، كَثِيرَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ، يَعِيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ، مُتَكَبِّرًا فِي جِلْسَتِهِ، مُتَعَاظِمًا فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ، كَثِيرَ الضَّحِكِ وَالْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ.

يَشْتَغِلُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثِ مَنْ جَالَسَهُ، هُوَ إِلَىٰ اسْتِمَاعِ حَدِيثِ جَلِيسِهِ أَصْغَىٰ مِنْهُ إِلَىٰ اسْتِمَاعِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ، يُرِي أَنَّهُ لِمَا يَسْتَمِعُ حَافِظٌ، فَهُوَ إِلَىٰ كَلَامِ النَّاسِ أَشْهَىٰ مِنْهُ إِلَىٰ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ، لَا يَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَبْكِي وَلَا يَحْزَنُ، وَلَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ فِيمَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِ وَقَدْ نُدِبَ إِلَىٰ ذَلِكَ، رَاغِبٌ فِي الدُّنْيَا وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا، لَهَا يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ.

إِنْ قَصَّرَ رَجُلٌ فِي حَقِّهِ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ لَا يُقَصَّرُ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَهْلُ الْقُرْآنِ تُقْضَىٰ حَوَائِجُهُمْ، يَسْتَقْضِي مِنَ النَّاسِ حَقَّ نَفْسِهِ، وَلَا يَسْتَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ مَا لِلَّهِ عَلَيْهَا، يَغْضَبُ عَلَىٰ غَيْرِهِ -زَعَمَ- لِلَّهِ، وَلَا يَغْضَبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ لِلَّهِ، وَلَا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ مِنْ حَلَالٍ.

قَدْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ، إِنْ فَاتَهُ مِنْهَا شَيْءٌ لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ حَزِنَ عَلَىٰ فَوْتِهِ، لَا يَتَأَدَّبُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، لَاهٍ غَافِلٌ عَمَّا يَتْلُو أَوْ يُتْلَىٰ عَلَيْهِ، هِمَّتُهُ حِفْظُ الْحُرُوفِ، إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ سَاءَهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يَنْقُصَ جَاهُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ فَتَنْقُصَ رُتْبَتُهُ عِنْدَهُمْ، فَتَرَاهُ مَحْزُونًا مَغْمُومًا بِذَلِكَ، وَمَا قَدْ ضَيَّعَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- مِمَّا أَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ أَوْ نَهَىٰ عَنْهُ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ بِهِ، أَخْلَاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلَاقُ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

لَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ إِذْ سَمِعَ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَعْرِفَةِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ فَيَنْتَهِيَ عَنْهُ، قَلِيلُ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ، كَثِيرُ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ الَّذِي يَتَزَيَّنُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا لِيُكْرِمُوهُ بِذَلِكَ، قَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الَّذِي نَدَبَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- إِلَيْهِ ثُمَّ رَسُولُهُ ﷺ لِيَأْخُذَ الْحَلَالَ بِعِلْمٍ، وَيَتْرُكَ الْحَرَامَ بِعِلْمٍ، لَا يَرْغَبُ بِمَعْرِفَةِ عِلْمِ النِّعَمِ، وَلَا فِي عِلْمِ شُكْرِ الْمُنْعِمِ.

تِلَاوَتُهُ لِلْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَىٰ كِبْرِهِ فِي نَفْسِهِ، وَتَزَيُّنٍ عِنْدَ السَّامِعِينَ مِنْهُ، لَيْسَ لَهُ خُشُوعٌ فَيَظْهَرَ عَلَىٰ جَوَارِحِهِ، إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ أَوْ دَرَّسَهُ لِغَيْرِهِ فَهِمَّتُهُ مَتَىٰ يَقْطَعُ، لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَىٰ يَفْهَمُ، لَا يَعْتَبِرُ عِنْدَ التِّلَاوَةِ بِضَرْبِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِرِضَا الْمَخْلُوقِينَ وَلَا يُبَالِي بِسَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُحِبُّ أَنْ يُعْرَفَ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ، وَيُظْهِرُ خَتْمَهُ لِلْقُرْآنِ لِيَحْظَىٰ عِنْدَهُمْ، قَدْ فَتَنَهُ

حُسْنُ ثَنَاءِ مَنْ جَهِلَهُ، يَفْرَحُ بِمَدْحِ الْبَاطِلِ وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ الْجَهْلِ، يَتَّبِعُ هَوَاهُ فِيمَا تُحِبُّ نَفْسُهُ، غَيْرُ مُتَصَفِّحٍ لِمَا زَجَرَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُ.

إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُقْرِئُ غَضِبَ عَلَىٰ مَنْ قَرَأَ عَلَىٰ غَيْرِهِ، إِنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالصَّلَاحِ كَرِهَ ذَلِكَ، وَإِنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ بِمَكْرُوهٍ سَرَّهُ ذَلِكَ، يَسْخَرُ بِمَنْ دُونَهُ وَيَهْمِزُ مَنْ فَوْقَهُ، يَتَتَبَّعُ عُيُوبَ أَهْلِ الْقُرْآنِ لِيَضَعَ مِنْهُمْ وَيَرْفَعَ مِنْ نَفْسِهِ، يَتَمَنَّىٰ أَنْ يُخْطِئَ غَيْرُهُ وَيَكُونَ هُوَ الْمُصِيبَ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ -أَيْ: أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَرَّتْ، وَلَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنْ سَخَطِ اللهِ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ اللهِ الْكَرِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَا مُصِيبَةَ بَعْدَ سَخَطِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَلَعْنَتِهِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.. أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ- أَنْ أَظْهَرَ عَلَىٰ نَفْسِهِ شِعَارَ الصَّالِحِينَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ ضَيَّعَ فِي الْبَاطِنِ مَا يَجِبُ لِلَّهِ، وَرَكِبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ، كُلُّ ذَلِكَ بِحُبِّ الرِّيَاسَةِ وَالْمَيْلِ إِلَىٰ الدُّنْيَا، قَدْ فَتَنَهُ الْعُجْبُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ.

إِنْ مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا أَوْ مُلُوكِهَا فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ سَارَعَ إِلَيْهِ وَسُرَّ بِذَلِكَ، وَإِنْ مَرِضَ الْفَقِيرُ الْمَسْتُورُ فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، يَحْفَظُ الْقُرْآنَ يَتْلُوهُ بِلِسَانِهِ، وَقَدْ ضَيَّعَ الْكَثِيرَ مِنْ أَحْكَامِهِ، أَخْلَاقُهُ أَخْلَاقُ الْجُهَّالِ، إِنْ أَكَلَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ شَرِبَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ لَبِسَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ جَامَعَ أَهْلَهُ

فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ نَامَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ صَحِبَ أَقْوَامًا أَوْ زَارَهُمْ أَوْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَوِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ فَجَمِيعُ ذَلِكَ يَجْرِي بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ، وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَحْفَظُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ مُطَالِبٌ لِنَفْسِهِ لِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُؤْبَهُ لَهُ وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ.

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلَاقَهُ صَارَ فِتْنَةً لِكُلِّ مَفْتُونٍ، لِأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ بِالْأَخْلَاقِ الَّتِي لَا تَحْسُنُ بِمِثْلِهِ اقْتَدَىٰ بِهِ الْجُهَّالُ، فَإِذَا عِيبَ الْجَاهِلُ قَالَ: فُلَانٌ الْحَامِلُ لِكِتَابِ اللهِ فَعَلَ كَذَا، فَنَحْنُ أَوْلَىٰ أَنْ نَفْعَلَهُ! وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِعَظِيمٍ -أَيْ: لِخَطَرٍ عَظِيمٍ- وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَلَا عُذْرَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ، وَهَذِهِ كُلُّهَا قَدْ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآثَارُ وَجَاءَتْ بِهَا الْأَخْبَارُ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: «لَقَدْ أَتَىٰ عَلَيْنَا حِينٌ وَمَا نَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ إِلَّا اللهَ تَعَالَىٰ، فَلَمَّا كَانَ هَاهُنَا بِأَخَرَةٍ، خَشِيتُ أَنَّ رِجَالًا يَتَعَلَّمُونَهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ وَمَا عِنْدَهُمْ، فَأَرِيدُوا اللهَ -تَعَالَىٰ- بِقِرَاءَتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ، وَإِذْ يُنْبِئُنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ -أَيْ: رَحَلَ- إِلَىٰ رَبِّهِ ﷻ وَانْقَطَعَ الْوَحْيُ، وَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ: مَنْ أَعْلَنَ خَيْرًا أَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ وَظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، وَمَنْ أَظْهَرَ شَرًّا أَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ وَظَنَنَّا بِهِ شَرًّا، سَرَائِرُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ ﷻ».

www.menhag-un.com

فَإِذَا كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه قَدْ خَافَ عَلَىٰ قَوْمٍ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ خَافَ عَلَيْهِمْ مَيْلَهُمْ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمُ الْيَوْمَ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يَكُونُ أَقْوَامٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحَ -الْقِدْحُ: عَصَا السَّهْمِ يَكُونُ مُسْتَقِيمًا- يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ، يَطْلُبُونَ بِهِ عَاجِلَةَ الدُّنْيَا وَلَا يَطْلُبُونَ بِهِ الْآخِرَةَ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَفِينَا الْأَعْجَمِيُّ وَالْأَعْرَابِيُّ، فَاسْتَمَعَ، فَقَالَ: «**اقْرَؤُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحَ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»، وَقَدْ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَظْهَرُ هَذَا الدِّينُ حَتَّىٰ يُجَاوِزَ الْبِحَارَ، وَحَتَّىٰ يُخَاضَ بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا قَرَؤُوهُ قَالُوا: قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ، فَمَنْ أَقْرَأُ مِنَّا؟! فَمَنْ أَعْلَمُ مِنَّا؟! ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ، وَأُولَئِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ**». أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَىٰ وَالْبَزَّارُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ»، وَكَذَا فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «كُنَّا صَدْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا مَعَهُ إِلَّا السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ شِبْهُ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقُرْآنُ ثَقِيلًا عَلَيْهِمْ -أَيْ: جَلِيلًا عَظِيمًا فِي قُلُوبِهِمْ، لَا يَحْفَظُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْقَهُوهُ،

وَأَنْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ، وَرُزِقُوا الْعَمَلَ بِهِ- وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُخَفَّفُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ، حَتَّىٰ يَقْرَأَهُ الصَّبِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ فَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ».

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَرِثَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ كَمَا يُشْرَبُ الْمَاءُ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**».

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا الْأَمْرَ مِنْ أَوَّلِهِ -أَيْ: لَمْ يَأْخُذُوا الْقُرْآنَ بِحَقِّهِ، يُرِيدُ الْعَمَلَ بِهِ- قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أُسْقِطُ مِنْهُ حَرْفًا! وَقَدْ -وَاللهِ- أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا تَرَىٰ الْقُرْآنَ لَهُ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ! وَاللهِ مَا هَؤُلَاءِ بِالْقُرَّاءِ وَلَا الْحُكَمَاءِ وَلَا الْوَرَعَةِ، مَتَىٰ كَانَتِ الْقُرَّاءُ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟! لَا كَثَّرَ اللهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ».

عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قَالَ: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ».

www.menhag-un.com

مِنْ صِفَاتِ حَامِلِ الْقُرْآنِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ**: «يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِوَرَعِهِ إِذِ النَّاسُ يُخَلِّطُونَ، وَبِتَوَاضُعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ».

هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَتَدَبَّرُونَهُ وَيَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَيَتَأَدَّبُونَ بِآدَابِهِ، فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُؤْتِيهِمْ مَعْرِفَةً فِيهِ تَغْشَىٰ قُلُوبَهُمْ، وَتَفْقَهُ بِهَا أَنْفُسُهُمْ وَعُقُولُهُمْ مُرَادَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الْحَسَنُ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحَدُنَا آخِذٌ بِيَدِ صَاحِبِهِ، فَمَرَرْنَا بِسَائِلٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَاحْتَبَسَ عِمْرَانُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا فَرَغَ سَأَلَ، فَقَالَ عِمْرَانُ: انْطَلِقْ بِنَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، فَإِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَكَذَا الْأَلْبَانِيُّ.

www.menhaj-un.com

مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: اللَّجْأُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَكَثْرَةُ دُعَائِهِ

مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَىٰ تَدَبُّرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: اللَّجْأُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَثْرَةُ دُعَائِهِ، وَإِظْهَارُ شِدَّةِ الرَّغْبَةِ فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ، وَهِيَ تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَاللهُ ﷻ وَحْدَهُ يَهْدِي لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فَهُوَ الَّذِي يَفْتَحُ مَغَالِيقَ الْقُلُوبِ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ، مَا جَاءَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ،**

مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا». قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «**بَلَىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**».

الْفَهْمُ وَالتَّدَبُّرُ هُوَ الْغَايَةُ مِنَ التِّلَاوَةِ؛ قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِذَا شَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ فَلْيَكُنْ شَأْنُهُ الْخُشُوعَ وَالتَّدَبُّرَ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ، وَالدَّلَائِلُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْمَطْلُوبُ، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ».

وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -وَهُوَ أَحَدُ كُتَّابِ الْوَحْيِ- يَرَىٰ عَدَمَ التَّسَرُّعِ فِي خَتْمِ الْقِرَاءَةِ لِكَيْ يَتَدَبَّرَ وَيَقِفَ عَلَىٰ الْآيَاتِ وَالْمَعَانِي الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا.

أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْفِرْيَابِيُّ، كِلَاهُمَا عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ حُبَابٍ جَالِسَيْنِ، فَدَعَا رَجُلًا فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِالَّذِي سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّهُ أَتَىٰ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَرَىٰ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِي سَبْعٍ، فَقَالَ زَيْدٌ: حَسَنٌ، وَلَأَنْ أَقْرَأَهُ فِي نِصْفِ شَهْرٍ أَوْ عِشْرِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَسَلْنِي لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَسْأَلُكَ، قَالَ: لِكَيْ أَتَدَبَّرَهُ وَأَقِفَ عَلَيْهِ.

فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْكَيْفِ، لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ الْكَمِّ، فَالْعِبْرَةُ بِالتَّدَبُّرِ، لَيْسَ بِكَثْرَةِ التِّلَاوَةِ، أَمَّا إِذَا اجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ فَنُورٌ عَلَىٰ نُورٍ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَشْمَلَنَا بِنُورِهِ، آمِينَ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ يَسْتَحِبُّونَ التَّرْتِيلَ فِي الْقِرَاءَةِ لِيَتَدَبَّرَهُ الْقَارِئُ وَلِيَفْهَمَ مَعَانِيَهُ».

فَهَمُّ الْقَارِئِ الْعَالِمِ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ اللهِ الْفَهْمُ عَنْ مَوْلَاهُ، وَفِي سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ الْفِقْهُ، لِئَلَّا يُضَيِّعَ مَا أُمِرَ بِهِ مُتَأَدِّبٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَالْإِنْسَانُ يَتَأَمَّلُ فِيمَا يَتْلُوهُ وَيَتَدَبَّرُهُ، لِأَنَّ التِّلَاوَةَ حَقَّ التِّلَاوَةِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَىٰ الْقِرَاءَةِ وَالتَّرْتِيلِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا مَا انْبَثَقَ عَنْ فَهْمٍ وَعِلْمٍ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قَالَ: «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ»، وَقَدْ مَرَّ عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ، وَثَبَتَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: «يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَكِلُونَ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ عَالِمِهِ».

فَمَنْ قَرَأَ قِرَاءَةَ تَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهُ، فَقَدْ حَصَّلَ الْغَايَةَ الْقُصْوَىٰ الَّتِي لَيْسَ لِأَحَدٍ وَرَاءَهَا مَرْمَىٰ، فَالتَّدَبُّرُ أَمْرٌ مُهِمٌّ، هُوَ الْغَايَةُ الْكُبْرَىٰ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَسَمَاعِهِ، وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَكَانَةُ الْمَاهِرِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَهَذِهِ بُشْرَىٰ لِلَّذِي يَقْرَأُ بِتَدَبُّرٍ وَتَأَمُّلٍ وَفَهْمٍ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَكُونُ مَاهِرًا بِالْقُرْآنِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَالِمًا بِالْفُرْقَانِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَتَعَلَّمَ أَحْكَامَهُ، فَيَفْهَمَ عَنِ اللهِ مُرَادَهُ وَمَا فَرَضَ عَلَيْهِ، وَأَيْضًا لِيَعْرِفَ الْمَكِّيَّ مِنَ الْمَدَنِيِّ، لِيُفَرِّقَ بَيْنَ مَا خَاطَبَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ فِي آخِرِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يَنْظُرَ فِي السُّنَنِ الْمَأْثُورَةِ الثَّابِتَةِ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ، فَبِهَا يَصِلُ الطَّالِبُ إِلَىٰ مُرَادِ اللهِ ﷻ، وَتُفْتَحُ لَهُ أَحْكَامُ الْقُرْآنِ فَتْحًا.

فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ كَانَ مَاهِرًا، وَهُوَ الْكَمَالُ، وَالْمَاهِرُ: الْحَاذِقُ بِالشَّيْءِ وَالْعَالِمُ بِهِ، إِذَنْ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ**»، مَا يَدُلُّنَا عَلَىٰ أَنَّ الْمَهَارَةَ هَاهُنَا لَيْسَتْ فِي إِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنْ مَخَارِجِهَا، مَعَ إِعْطَاءِ كُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ وَمُسْتَحَقَّهُ فَقَطْ، فَهَذَا بِدَايَةُ الطَّرِيقِ، وَأَمَّا نِهَايَتُهُ فَبَعِيدَةٌ، يَمُرُّ عَلَىٰ هَذِهِ الصُّوَىٰ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا مَرَّ مِنْ كَلَامِهِ.

فَالْغَرَضُ: أَنَّ الْمَطْلُوبَ شَرْعًا إِنَّمَا هُوَ تَحْسِينُ الصَّوْتِ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَىٰ التَّدَبُّرِ، تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالِانْقِيَادِ لِلطَّاعَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَجْتَهِدَ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ- أَنْ نَقْرَأَ بِيَقَظَةِ الْعَقْلِ وَعَدَمِ شُرُودِ الذِّهْنِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالتَّذَكُّرِ بِعَظِيمِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ، وَالتَّدَبُّرِ لِفَوَائِدِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ يَقَظَةَ الْعَقْلِ وَحُضُورَهُ مَعَ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ فِيهَا ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ سَيَجِدُ الْعَنَاءَ عِنْدَ بِدَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ، بَلْ سَيَجِدُ أَشَدَّ الْعَنَاءِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُعْتَادًا لِمَا يُرِيدُ، بَلْ هُوَ مُعْتَادٌ لِضِدِّهِ، فَقَدِ اعْتَادَ أَنْ يَهُذَّ الْقُرْآنَ هَذَّ

الشِّعْرِ، وَأَنْ يُفَاخِرَ بِكَثْرَةِ مَا تَلَا، لَا بِمَا فَهِمَ مِمَّا تَلَاهُ، فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينَئِذٍ أَنْ يَكُونَ وَاقِفًا عِنْدَ الْخَوَاطِرِ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُتَدَبِّرًا فِي آيَاتِ اللهِ جَلَّوَعَلَا فَجَاءَ خَاطِرٌ مُقْتَحِمٌ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَجَالِ تَدَبُّرِهِ فَلْيَقْطَعِ الْخَاطِرَ وَلْيَعُدْ إِلَىٰ مَا كَانَ، سَتَهْجُمُ عَلَيْهِ الْخَوَاطِرُ هُجُومًا عَظِيمًا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَلَا بَأْسَ، فَأَوَّلُ الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَىٰ الْغَايَةِ خُطْوَةٌ، عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَخْطُوَهَا بِعَزْمٍ وَحَسْمٍ مَعَ تَقْوَىٰ اللهِ ﷻ وَالْإِنَابَةِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ أَنْ يُرْزَقَ فِي الْقُرْآنِ فَهْمًا مُسْتَقِيمًا، لِيُحَصِّلَ الْمَرْءُ بِذَلِكَ ثَمَرَاتِ التَّدَبُّرِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَعْرِفَةُ أَسَالِيبَ الْقُرْآنِ مِمَّا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَسَالِيبَ الْقُرْآنِ سَيَجِدْ نَفْسَهُ غَرِيبًا عَنِ الْقُرْآنِ وَتَرَاكِيبِ جُمَلِهِ، سَيُعَانِي فِي فَهْمِهَا مَا يُعَانِي، وَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ مِمَّا يُعِينُ عَلَىٰ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ: خَتْمُ الْآيَاتِ بِأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ، هَذَا بَابٌ أَوْ فَنٌّ أَوْ عِلْمٌ بِرَأْسِهِ، وَقَدْ كَتَبَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْكِبَارِ فِي خَتْمِ الْآيَاتِ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْحُسْنَىٰ مَعَ رِعَايَةِ الْمُنَاسَبَةِ، فَإِذًا هَذَا مِنْ أَسَالِيبِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ لِيَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْحُكْمَ الْمَذْكُورَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِذَلِكَ الِاسْمِ الْكَرِيمِ.

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ: احْتِوَاؤُهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ طُرُقِ التَّعْلِيلِ، وَإِيصَالُ الْمَعَانِي إِلَىٰ الْقُلُوبِ بِأَيْسَرِ طَرِيقٍ وَأَوْضَحِهِ، وَمِنْ أَبْرَزِ أَنْوَاعِ تَعْلِيمِهِ الْعَالِي: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ، فَتُوَضَّحُ الْمَعَانِي النَّافِعَةُ وَتُمَثَّلُ الْأُمُورُ الْمَحْسُوسَةُ كَأَنَّهَا تُرَىٰ رَأْيَ الْعَيْنِ، وَهَذَا مِنْ عِنَايَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

ذَكَرَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ أُسْلُوبًا مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ؛ مِنْهَا: التَّوْكِيدُ، وَالْحَذْفُ، وَالتَّقْدِيمُ، وَالِاسْتِطْرَادُ، وَالِالْتِفَاتُ، وَالتَّضْمِينُ، وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَعَكْسُهُ، وَالتَّوَسُّعُ، وَالْإِعْرَاضُ، وَالتَّوْرِيَةُ، وَالطِّبَاقُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ فِي «الْبُرْهَانِ».

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ: الْحَذْفُ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَمْثِلَةً عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَالَ: «وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يَذْكُرُ جَوَابَ الْقَسَمِ تَارَةً وَهُوَ الْغَالِبُ، وَتَارَةً يَحْذِفُهُ، كَمَا يَحْذِفُ جَوَابَ (لَوْ)؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، يَكُونُ مَاذَا؟ فَحَذَفَ الْجَوَابَ.

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠].

وَمِثْلُ هَذَا حَذْفُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ ذَلِكَ لَرَأَيْتَ هَوْلًا عَظِيمًا، وَهَذِهِ عَادَةُ النَّاسِ فِي كَلَامِهِمْ إِذَا رَأَوْا أُمُورًا عَجِيبَةً، وَأَرَادُوا أَنْ يُخْبِرُوا بِهَا الْغَائِبَ عَنْهَا، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: لَوْ رَأَيْتَ مَا جَرَىٰ الْيَوْمَ!

www.menhag-un.com

أُسْلُوبُ الِالْتِفَاتِ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنْوَاعُهُ

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ: الِالْتِفَاتُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: «نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَىٰ أُسْلُوبٍ آخَرَ تَطْرِيَةً وَاسْتِدْرَارًا لِلسَّامِعِ، وَتَجْدِيدًا لِنَشَاطِهِ، وَصِيَانَةً لِخَاطِرِهِ مِنَ الْمَلَالِ وَالضَّجَرِ بِدَوَامِ الْأُسْلُوبِ الْوَاحِدِ عَلَىٰ سَمْعِهِ».

الِالْتِفَاتُ لَهُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

الِالْتِفَاتُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَىٰ الْخِطَابِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ١- ٢]، وَلَمْ يَقُلْ: لِنَغْفِرَ لَكَ، وَإِنَّمَا انْتَقَلَ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَىٰ الْخِطَابِ.

وَمِنَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَىٰ الْغَيْبَةِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١- ٢]، وَلَمْ يَقُلْ: فَصَلِّ لَنَا.

وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَىٰ الْمُتَكَلِّمِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَىٰ الْغَيْبَةِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، لَمْ يَقُلْ: وَجَرَيْنَ بِكُمْ.

مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الْمُتَكَلِّمِ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨- ٨٩].

وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الْخِطَابِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦].

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ فِي الْحَثِّ: التَّذْكِيرُ بِالْآمِرِ وَعَظَمَتِهِ، وَالتَّشْوِيقُ لِلْأَجْرِ وَكَثْرَتِهِ، وَالتَّذْكِيرُ بِمَنْزِلَةِ الْمَأْمُورِ وَحَاجَتِهِ، وَالتَّهْيِيجُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، **قَالَ**: «هَذَا تَهْيِيجٌ لِلْأُمَّةِ عَلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ».

الِاعْتِبَارُ بِحَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَعْيَانِ الصَّالِحِينَ.

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ فِي النَّهْيِ: التَّبْغِيضُ لِلْفِعْلِ، أَوِ التَّهَكُّمُ بِأَصْحَابِهِ، أَوِ السُّخْرِيَةُ مِنْهُمْ، أَوْ ذِكْرُ عَاقِبَةِ مَنْ فَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ وَصْفُ خَسَارَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ عَطْفُهُ عَلَىٰ مَا هُوَ أَشْنَعُ مِنْهُ وَمَا هُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ النُّفُوسِ، أَوْ الِاعْتِبَارُ بِالْأُمَمِ الظَّالِمَةِ وَأَعْيَانِ الْمُعَانِدِينَ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]: «وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ - تَعَالَىٰ- لِمَنْ حَمَلَ الْكِتَابَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ وَيَعْلَمَ مَا فِيهِ؛ لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنَ الذَّمِّ مَا لَحِقَ هَؤُلَاءِ».

مِنَ الْأَسَالِيبِ الْمُشْتَرَكَةِ فِي الْحَثِّ وَالنَّهْيِ: التَّشْبِيهُ، وَالْكِنَايَةُ، وَالتَّضْمِينُ، وَالْمُقَارَنَةُ، وَالْقَصَصُ، وَالتَّأْكِيدُ، وَالتَّخْصِيصُ، وَالتَّفْصِيلُ، وَالْإِجْمَالُ، وَالتَّقْدِيمُ،

وَالتَّأْخِيرُ، وَالِالْتِفَاتُ، وَالتَّلْمِيحُ، وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ، وَبَيَانُ الْحِكْمَةِ، وَخَتْمُ الْآيَةِ بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَخَتْمُ السُّوَرِ بِمَا يُنَاسِبُهَا.

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ: اخْتِلَافُ مَسَاقِ إِيرَادِ الْقَصَصِ؛ قَالَ الشَّاطِبِيُّ عَنْ ذَلِكَ: «وَبِالْجُمْلَةِ فَحَيْثُ ذُكِرَ قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام كَنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَثْبِيتٌ لِفُؤَادِهِ لِمَا كَانَ يَلْقَىٰ مِنْ عِنَادِ الْكُفَّارِ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ، عَلَىٰ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَتُذْكَرُ الْقِصَّةُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَقَعُ لَهُ مِثْلُهُ، وَبِذَلِكَ اخْتَلَفَ مَسَاقُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ.

مَعْرِفَةُ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَسَالِيبَ الْقُرْآنِ سَيَجِدُ نَفْسَهُ غَرِيبًا عَنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَتَرَاكِيبِ جُمَلِهِ، وَسَيُعَانِي لِفَهْمِهَا مَا يُعَانِي، وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَجَدَ فِيهِ مِنَ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فُنُونًا ظَاهِرَةً وَخَفِيَّةً مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَمِنْ حَيْثُ الْمَعْنَىٰ، وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ بَلَغَ فِي التَّدَبُّرِ مَبْلَغًا.

وَأَمَّا مَا مَرَّ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي كَلَامِ رَبِّهِ ﷻ، وَأَنْ يَفْهَمَهُ وَأَنْ يُعَانِيَ ذَلِكَ وَأَنْ يَفْقَهَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمَّا نَعَىٰ عَلَى الَّذِينَ لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ نَعَىٰ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْ أَدَوَاتِ الِاجْتِهَادِ شَيْءٌ، فَلَوْ كَانَ لَا يَصِلُ إِلَىٰ فَهْمِ كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا مَنْ حَصَّلَ أَدَوَاتِ الِاجْتِهَادِ لَمَا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى الْكُفَّارِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ سَامِعٍ لِكَلَامِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَلِكُلِّ تَالٍ لَهُ حَظُّهُ وَنَصِيبُهُ مِنْ فَهْمِهِ لِكَلَامِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، لِأَنَّ هُنَالِكَ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّقَائِقِ، فَهَذَا لِلْعُلَمَاءِ.

وَلَا يُطَالَبُ كُلُّ النَّاسِ بِأَنْ يَفْهَمُوا هَذَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَفْهَمُهُ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ هُنَالِكَ كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَىٰ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الرَّذَائِلِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الْفَضَائِلِ، وَفِيهِ التَّخْوِيفُ بِالنَّارِ، وَالتَّرْغِيبُ فِي الْجَنَّةِ وَفِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فَهَذَا عَطَاءُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَوْ تَلَاهُ.

ثُمَّ يَرْتَقِي الْمَرْءُ فِي دَرَجَاتِ التَّدَبُّرِ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَمَعْرِفَةُ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تَكُونُ مَرْحَلَةً مِنْ مَرَاحِلِ الطَّرِيقِ لِكَيْ يَعْلَمَ وُجُوهَ الْإِعْجَازِ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ نَفْسَهُ -وَهُوَ إِذَا لَمْ يَتَدَبَّرْ كَلَامَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الْجَوَابِ- عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ نَفْسَهُ، الْقُرْآنُ هُوَ آيَةُ الرَّسُولِ ﷺ؛ أَيْ: مُعْجِزَتُهُ الْعُظْمَىٰ، وَهِيَ أَعْظَمُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بِإِطْلَاقٍ، فَأَعْظَمُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ هِيَ الْكِتَابُ الَّذِي آتَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مُحَمَّدًا ﷺ؛ «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا عَلَىٰ مِثْلِهِ آمَنَ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»؛ لِأَنَّ آيَتَهُ هِيَ الْآيَةُ الْعُظْمَىٰ، إِذَنْ كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -وَهُوَ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ بَيْنَ يَدَيْكَ- أَعْظَمُ إِعْجَازًا وَأَقْوَىٰ دَلَالَةً مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ لِعِيسَىٰ، وَمِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَأَعْظَمُ مِنْ شَقِّ الْبَحْرِ لِمُوسَىٰ، أَعْظَمُ عَظَمَةً مِنْ كُلِّ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، هَلْ هُوَ كَذَلِكَ عِنْدَكَ؟!

يَعْنِي: هَلْ إِذَا رَأَيْتَ إِحْيَاءَ الْمَوْتَىٰ لِعِيسَىٰ، تَرَىٰ الْقُرْآنَ بِيَقِينٍ أَعْظَمَ دَلَالَةً وَأَكْبَرَ آيَةً وَأَعْجَزَ إِعْجَازًا مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ أَمْ أَنَّكَ تَرَىٰ أَنَّ إِحْيَاءَ الْمَوْتَىٰ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْظَمُ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، بَلْ مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ؟!

مَا الْقُرْآنُ عِنْدَكَ؟! هَلْ هُوَ وَحْدَةٌ مُتَكَامِلَةٌ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، فَهَذِهِ كَلِمَةُ اللهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَهِيَ خِتَامُ الْوَحْيِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ كَمَا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وَحْدَةٌ وَاحِدَةٌ، هُوَ عِنْدَكَ كَذَلِكَ؟ أَوْ هُوَ تَفَارِيقُ وَتَبَاعِيضُ؟ بَلْ إِنَّ السُّورَةَ وَلَوْ كَانَتْ قَصِيرَةً لَا تَكُونُ عِنْدَكَ مُتَرَابِطَةً!

لَقَدْ كَتَبَ الْعُلَمَاءُ فِي تَنَاسُبِ الْآيِ وَتَنَاسُبِ السُّوَرِ، فَآيَةٌ تُسْلِمُ إِلَىٰ آيَةٍ، وَآيَةٌ تُسْلِمُ إِلَىٰ مَا بَعْدَهَا، وَالسُّورَةُ تُسْلِمُ إِلَىٰ السُّورَةِ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ.

هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْبَاقِيَةُ إِلَىٰ أَنْ يَرْفَعَ اللهُ الْكِتَابَ -الْقُرْآنَ- مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، يَتَحَدَّىٰ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِهِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ فِيهِ، وَالْعَجْزُ قَائِمٌ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَىٰ وُجُوهَ الْإِعْجَازِ فِيهِ؟! مَا الَّذِي تَعْرِفُهُ عَنْ كِتَابِ اللهِ؟! لِمَاذَا تَشْغَلُ نَفْسَكَ بِالدُّونِ، وَلَا تَشْغَلُ نَفْسَكَ بِمَا يُصْلِحُ قَلْبَكَ، وَيُسَهِّلُ طَرِيقَكَ، وَيُنَوِّرُ وَجْهَكَ، وَيُسَهِّلُ أَمْرَكَ، وَيُثَبِّتُ قَدَمَيْكَ؟! لِمَاذَا تُهْدِرُ الْعُمُرَ فِيمَا لَا يُفِيدُ؟!

www.menhag-un.com

مِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

لَقَدْ تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي وُجُوهِ الْإِعْجَازِ، وَفَصَّلَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَشْرَةَ أَوْجُهٍ، وَالْأَوْجُهُ بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَهُنَاكَ مُصَنَّفَاتٌ بِرَأْسِهَا، بَلْ إِنَّ عِلْمَ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا أُسِّسَ مِنْ أَجْلِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، بَلْ كُلُّ الْعُلُومِ إِنَّمَا نَشَأَتْ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَنَمَتْ وَتَرَعْرَعَتْ لِخِدْمَةِ كِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، فَمَا مَحَلُّهُ مِنْكَ، مِنْ قَلْبِكَ وَرُوحِكَ وَضَمِيرِكَ وَعَقْلِكَ وَحَيَاتِكَ وَسُلُوكِكَ وَمِنْهَاجِكَ وَأَخْلَاقِكَ؟!

أَوَّلُ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فِيمَا ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ: النَّظْمُ الْبَدِيعُ لِكُلِّ نَظْمٍ مَعْهُودٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ.

ثَانِيهَا: الْأُسْلُوبُ الْمُخَالِفُ لِجَمِيعِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَكَثَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً يُكَلِّمُهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ، يَعْرِفُونَ طَبَقَةَ كَلَامِهِ هُوَ ﷺ، وَهِيَ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ حَيْثُ هِيَ، وَلَكِنْ هُمْ يَعْرِفُونَ أُسْلُوبَ رَسُولِ اللهِ، فَلَمَّا جَاءَ بِالْقُرْآنِ لَمْ يَشْتَبِهْ عَلَيْهِمْ، تَمَيَّزَ، قَالُوا: هَذَا لَيْسَ بِكَلَامِ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ قَالُوا: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ مُحَمَّدٍ. فَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ مُكَابَرَةً، هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ، بَلْ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، إِذَنْ هَذَا أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ، وَهَذَا كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَنْطِقُ بِالِاثْنَيْنِ؛ لِأَنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ الْكِتَابَ

الْمَجِيدَ، وَالنَّبِيُّ يَتَكَلَّمُ، كَلَّمَهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ، وَحَادَثَهُمْ وَيُحَادِثُونَهُ، وَلَكِنْ هَذِهِ طَبَقَةٌ وَهَذِهِ طَبَقَةٌ، هَذَا كَلَامُ اللهِ، وَهَذَا كَلَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأُسْلُوبُ الْقُرْآنِ مُخَالِفٌ لِجَمِيعِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ.

ثَالِثًا: الْجَزَالَةُ الَّتِي لَا تَصِحُّ مِنْ مَخْلُوقٍ بِحَالٍ، تَأَمَّلْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- هُوَ الْحَقُّ، عَلِمَ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجَزَالَةِ لَا تَصِحُّ فِي خِطَابِ غَيْرِهِ، وَلَا يَصِحُّ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الدُّنْيَا أَنْ يَقُولَ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وَلَا أَنْ يَقُولَ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

إِذَنْ؛ نَظْمٌ وَأُسْلُوبٌ وَجَزَالَةٌ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْخِصَالُ لَازِمَةٌ لِكُلِّ سُورَةٍ، بَلْ هِيَ لَازِمَةٌ لِكُلِّ آيَةٍ، وَبِمَجْمُوعِ هَذِهِ الثَّلَاثِ يَتَمَيَّزُ مَسْمُوعُ كُلِّ آيَةٍ وَكُلِّ سُورَةٍ عَنْ سَائِرِ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَبِهَا وَقَعَ التَّحَدِّي وَالتَّعْجِيزُ، اللهُ -تَعَالَىٰ- يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

يَقُولُ اللهُ جَلَّوَعَلَا إِنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ النَّاسَ، وَخَلَقَ الْجِنَّ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ سَيَقُولُ مَاذَا؟! خَلَقَ مَاذَا؟! رَزَقَ مَنْ؟! مَاذَا صَنَعَ؟! مَا الَّذِي يَقْدِرُ عَلَيْهِ؟!

رَابِعًا: التَّصَرُّفُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ عَرَبِيٌّ.

خَامِسًا: الْإِخْبَارُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ وَقْتَ نُزُولِهِ؛ يَعْنِي: كَانَتْ قَبْلَ وَقْتِ النُّزُولِ، تَقَدَّمَتْ عَلَيْهِ.

سَادِسًا: الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ؛ كَوَعْدِهِ بِنُصْرَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ فِي وَعْدِهِ بِأَنْ يَعْصِمَهُ مِنَ النَّاسِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ -لِأَنَّ الَّذِي يُوحِي إِلَيْهِ الْقُرْآنَ هُوَ اللهُ جَلَّوَعَلَا- لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ صَرَفَ مَنْ كَانَ يَحْرُسُهُ، وَهَذَا لَا يُخَاطِرُ بِهِ أَحَدٌ لَيْسَ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ أَنَّ الَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْهِ هُوَ اللهُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ لِأَنَّهُ يُعَرِّضُ حَيَاتَهُ لِلْخَطَرِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، صَرَفَ مَنْ كَانَ يَحْرُسُهُ كِفَايَةً بِعِصْمَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

سَابِعًا: الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الَّتِي لَا يُطَّلَعُ عَلَيْهَا إِلَّا بِالْوَحْيِ.

ثَامِنًا: مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ قِوَامُ جَمِيعِ الْأَنَامِ.

تَاسِعًا: الْحِكَمُ الْبَالِغَةُ الَّتِي لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تَصْدُرَ فِي كَثْرَتِهَا وَشَرَفِهَا مِنْ آدَمِيٍّ.

عَاشِرًا: التَّنَاسُبُ فِي جَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ وَلَا خِلَافٍ.

هَذِهِ بَعْضُ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فِي الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ عِنْدَ تَدَبُّرِهِ لِكَلَامِ رَبِّهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَطْرَافِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَجْتَهِدْ فِي مَعْرِفَتِهَا فَاتَهُ مِنْ حُسْنِ التَّدَبُّرِ، بَلْ مِنْ حَقِيقَةِ التَّدَبُّرِ الْكَثِيرُ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ التَّدَبُّرَ هُوَ الْمَقْصِدُ، أَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْقُرْآنَ لِيُتَدَبَّرَ، وَلِتُتَدَبَّرَ آيَاتُهُ، فَإِذَا تُدُبِّرَتْ آيَاتُهُ وَفُهِمَتْ عُلِمَ الْمُرَادُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْرًا وَنَهْيًا، فَيُلْتَزَمُ أَمْرُهُ وَيُجْتَنَبُ نَهْيُهُ.

www.menhag-un.com

التَّأَمُّلُ فِي دَلَالَةِ الاِقْتِرَانِ، وَذِكْرُ أَمْثِلَتِهَا

مِمَّا يَدُلُّ -أَيْضًا- عَلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ: دَلَالَةُ الِاقْتِرَانِ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَلَهَا أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي التَّدَبُّرِ، فَإِنَّ أَبْوَابَ التَّدَبُّرِ التَّأَمُّلُ فِيمَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ بِدَلَالَةِ الِاقْتِرَانِ؛ أَيْ: دَلَالَةُ عَطْفِ الْكَلِمَةِ عَلَىٰ الْكَلِمَةِ، دَلَالَةُ مَجِيئِهَا مَعَهَا وَاقْتِرَانِهَا بِهَا، وَهُوَ بَابٌ لَطِيفٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّدَبُّرِ فِيهِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ جَمَّةٌ، هَذِهِ أَمْثِلَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ:

تَأَمَّلْ كَيْفَ قَرَنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا بَيْنَ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، فَأَكْلُ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ مِمَّا يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَىٰ فِعْلِ الصَّالِحَاتِ، كَمَا أَنَّ أَكْلَ الْحَرَامِ وَأَنَّ الْوُقُوعَ فِي الْمُشْتَبِهَاتِ يُثْقِلُ الْعَبْدَ عَنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الِاقْتِرَانِ بَيْنَ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ.

تَأَمَّلْ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، تَجِدْ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَقْرِنُ اسْتِوَاءَهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ كَثِيرًا، ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرْشَ مُحِيطٌ بِالْمَخْلُوقَاتِ قَدْ وَسِعَهَا، وَالرَّحْمَةَ مُحِيطَةٌ بِالْخَلْقِ وَاسِعَةٌ لَهُمْ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ أَوْسَعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَوْسَعِ الصِّفَاتِ.

بُشْرَىٰ لِمَنْ يَسْعَىٰ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ بِالتِّجَارَةِ وَنَحْوِهَا، ذَكَرَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَتَأَوَّلُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَضِيلَةَ التِّجَارَةِ وَالسَّفَرِ لِأَجْلِهَا، حَيْثُ قَرَنَ اللهُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُكْتَسِبِينَ الْمَالَ الْحَلَالَ، ذَلِكَ أَنَّ اللهَ مَا ذَكَرَ هَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ لِنَسْخِ تَحْدِيدِ الْقِيَامِ إِلَّا تَنْوِيهًا بِهِمَا؛ لِأَنَّ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْذَارِ مَا هُوَ أَشْبَهُ كَالْمَرَضِ مَثَلًا.

لَمَّا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قَالَ بَعْدَهَا: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اسْتِحْقَاقَهُ لِلْعُبُودِيَّةِ ذَكَرَ سَبَبَ ذَلِكَ؛ وَهُوَ كَمَالُهُ فِي نَفْسِهِ وَكَمَالُهُ لِغَيْرِهِ، فَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لِمَنْ هَذَا شَأْنُهُ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، «وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ بَيَانِ مَنْزِلَةِ الْعُلَمَاءِ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ، حَيْثُ قَرَنَ اللهُ خُطُورَةَ جَرِيمَةِ قَتْلِهِمْ بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وَقَرَنَ بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ قَتْلَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فَقَرَنَ بَيْنَهُمَا لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ رِفْعَةِ شَأْنِ الْعُلَمَاءِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِمْ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ وَالدِّرَاسَةَ تُوجِبُ كَوْنَ الْإِنْسَانِ رَبَّانِيًّا، فَمَنِ اشْتَغَلَ بِذَلِكَ لَا لِهَذَا الْمَقْصِدِ ضَاعَ سَعْيُهُ وَخَابَ عَمَلُهُ.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]، جَمَعَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِغْفَارَ مَحْوُ الذُّنُوبِ، وَفِي التَّسْبِيحِ طَلَبُ الْكَمَالِ.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، قَرَنَ شَهَادَةَ الْعُلَمَاءِ بِشَهَادَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَبِشَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ تَزْكِيَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يَسْتَشْهِدُ مَجْرُوحًا.

فَهَذِهِ بَعْضُ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي تَفْتَحُ بَابًا لِلتَّدَبُّرِ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

www.menhag-un.com

مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ التَّدَبُّرِ:
أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلَ بِمَا عَلِمَ

مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ التَّدَبُّرِ: أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلَ بِمَا عَلِمَ، هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ مِنَ التِّلَاوَةِ، «أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لِيَعْمَلُوا بِهِ فَاتَّخَذُوا دَرْسَهُ عَمَلًا»، «إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَتْلُو الْقُرْآنَ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ مَا يُسْقِطُ مِنْهُ حَرْفًا وَقَدْ أَسْقَطَ الْعَمَلَ بِهِ»، فَالْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَعْظَمُ مُعِينٍ عَلَىٰ التَّأَمُّلِ فِي آيَاتِهِ وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ يَقْتَضِي الْعَمَلَ بِهِ وَعَدَمَ مُخَالَفَتِهِ، يَعْنِي عِنْدَمَا تُؤْمِنُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، يُخَاطِبُكَ بِهِ مِنْهُ إِلَيْكَ، فَعِنْدَمَا يُخَاطِبُ عَبْدَهُ، فَأَنْتَ عَبْدُهُ، وَهُوَ يَأْمُرُكَ وَيَنْهَاكَ، كَأَنَّكَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِكَ وَمَوْلَاكَ يَأْمُرُكَ وَيَنْهَاكَ، «لَا أَخْشَىٰ أَنْ يُقَالَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا عُوَيْمِرُ، مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا جَهِلْتَ؟! وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي: مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟!»؛ يَقُولُهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ، وَأَلَّا يُقِيمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْحُجَّةَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عَلِمَ فَقَدْ أَقَامَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْحُجَّةَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَدْ عَلِمْتَ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ فَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَصْفِ خُلُقِهِ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ».

«يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، اسْتَقِيمُوا! فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا».

يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ، اعْمَلُوا بِهِ! فَإِنَّ الْعَالِمَ إِنَّمَا هُوَ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ، سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ، وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ، يَجْلِسُونَ حِلَقًا يُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَىٰ جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَيَدَعَهُ، أُولَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَمَا تَدَبَّرَ آيَاتِهِ إِلَّا مَنْ رُزِقَ السَّعَادَةَ دُنْيَا وَآخِرَةً، وَهِيَ مَا تُتَدَبَّرُ -أَيْ آيَاتُهُ- إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ، مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ -وَاللهِ- أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَىٰ الْقُرْآنُ لَهُ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ! وَاللهِ مَا هَؤُلَاءِ بِالْقُرَّاءِ وَلَا بِالْعُلَمَاءِ وَلَا بِالْحُكَمَاءِ وَلَا الْوَرَعَةِ، مَتَىٰ كَانَتِ الْقُرَّاءُ مِثْلَ هَذَا؟! لَا كَثَّرَ اللهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ». رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»، وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ.

www.menhag-un.com

مِمَّا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ:
تَعْلِيمُهُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ بِهِ

كَذَلِكَ مِمَّا يُعِينُ عَلَىٰ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ: تَعْلِيمُهُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ بِهِ، وَاسْتِحْضَارُ الْقَلْبِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ.

قِيَامُ اللَّيْلِ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَىٰ تَدَبُّرِهِ، حَيْثُ خَلْوَةُ الرَّجُلِ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مَعَ الْبُعْدِ عَنْ كُلِّ الشَّوَاغِلِ وَالصَّوَارِفِ الَّتِي تَصْرِفُ الْإِنْسَانَ وَتَشْغَلُ قَلْبَهُ عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

أَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ أَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ التَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَأَنْ يَفْتَحَ لَنَا فِي ذَلِكَ فَتْحًا مُبَارَكًا، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com